السؤل احدهما من غسان وكان نصرانيًا فيصح نسبة البيت له . والآخر يهودي من بني قريظة او يهود غيرهم (١ ان نسبت اليه القصيدة كان بيتها الاخير مصنوعاً

نجيب ثانيًا انَّ الكتبة العرب (الًا اليعقوبي) ليس فقط لم يذكروا تهوُّد غسان بل ذكروا عنهم أنهم رفضوا اليهودية . قال صاحب الفضل شكري الالوسي البغدادي في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢ : ٢٦٢) انَّ تبع الاصغر الحميري لمَّا تهوَّد دعا الى اليهودية غسان فأبوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيَّة قال : « وسار (تبع) الى الشام وملوكها غسَّان فاصطهُ المقادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيَّة »

نجيب ثالثًا انهُ لمحتمل ايضًا انَّ اليعقوبي نسب اليهودية الى قوم من غسَّان لانتشار بعض الشيع النصرانيَّة بينهم . وهذه الشيع كالابيونيين (ébionites) والنزاريين (nazaréens) وغيرها كانت من بقايا اليهود الاولين الذين تنصَّروا وحفظوا شيئًا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا من أورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا الاردنّ وانتشروا في بلاد العرب وعُرفوا باليهود المتنصرين (judéo-chrétiens)

وجمل الكلام أنَّا لا نسلِّم بيهودية غسَّان بحصر المعنى وكذلك نقول عن السؤل انهُ ان صحَّت يهوديتهُ لم يكن من غسَّان فيكون البيت الذي رُوي لهُ عن المسيح مصنوع . ما لم يُقَلْ انهُ كان من الشيع التي ذكرناها في جوابنا الاخير فقيل لهُ يهوديّ بالمعنى المزبور وحينئذٍ يمكن نسبة البيت اليه مع القول بانهُ من غسان

هذا ما سطَّرنا على جناح السرعة بعد تغيُّبنا أيامًا من بيروت . وكان بودّنا ان نتابع البحث فننتقد بقيَّة ما كتبهُ الناظر البغداديّ في المجلَّة المصريَّة ولعلَّنا نعود الى تمحيص أقوالهِ وبيان ما ورد فيها من الآراء الضعيفة . وكفى اليوم بهذه المقالة الوجيزة شاهدًا على شططهِ

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

مني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

كلٌّ يعلم ما اظهرهُ الروم الملكيُّون الكاثوليك من الشهامة في اواسط القرن الثامن عشر للدفاع عن ايمانهم بازاء البطريرك سلفستروس القبرصي . ولمَّا طاب هذا تباهم في الدين الكاثوليكي

---

١) ويؤيد ذلك ما ورد في نسخة حضرة الأب انستاس بأن القصيدة للسؤل من بني قريظة

ارسل اليهم اسقفاً يُدعى فيليمون اتّسع الكتبة في وصف اخلاقهِ البيّنة . فلمّا جاء الى حلب سنة ١٧٥٣ ابى اهلها الخضوع لهُ بدلًا من اسقفهم القانوني مكسيموس الحكيم فاضطهد فيليمون الكاثوليك حتى اضطرَّ كثيرين منهم ان يخرجوا من وطنهم . ومن جملتهم ابراهيم الحكيم احد اقارب الاسقف مكسيموس فهرب هذا الى مصر ولمّا بلغها كتب هذه الرسالة الى احد اصحابهِ في حلب وهي طويلة اقتصرنا على ذكر بعضها . وقد وجدنا الاصل في بيت احد وجوه البلدة بشاره افندي يارد فنتعرض لهُ الشكر لترخيصهِ لنا بنشر هذا الاثر . اما ابراهيم الحكيم فلا نعلم شيئاً من امرهِ الّا ما يُستخلَص من اخبارهِ في هذه الرسالة التي تدلّ على اقتدارهِ في الانشاء وبراعتهِ في الكتابة نظماً ونثراً

ان ارقّ وألطف ما انشأت وسَّت ألسنُ اليراع من تحيّة . وسلام وآداب واحترام من فرائد غُرَر البيان من نحور الاذهان الذكية . وأبهى وأعجب ما تُرقِّم بهِ وجنات الطروس من ابكار خرائد الاذهان بعقود جمان الافكار من عبارة معنويّة . وازهى واغرب ما تُعلَّم بهِ زكيّات النفوس من اسرار ضمائر الجنان من برود معاني النثار من صناعات عقليّة . وأحلى وأعذب ما تعتّقت وصفت العقار والصّهباء ودارت الكؤوس على الندمان سرًّا وجهرًا . واشجى واطرب ما تغرّدت وشدَت اطيار الربى وطارت على رؤوس ذرى الاغصان كرًّا وفرًّا . . . :

سلامٌ يعمُّ الكونَ من عرفهِ الاعطرْ وقد ضوَّع الأحيا شذا مسكهِ الاذفرْ
وفاح على الندّ الذكيّ عبيرُهُ وفاق على البخور والطيب والعنبرْ

ذو المجد والجلال . والعزّ والسعد والاقبال . فخر الحذاق الافاضل المحققين . بحر آفاق الفضائل المدققين . شمس الملاحة الساطعة الاشراق في الليل الحافل . قسّ الفصاحة الذي فاق على سحبان وائل . وقد تقدَّم بالبراعة والبلاغة على الاواخر والاوائل . البحر المتدفق الزاخر الذي ما لهُ اوّل ولا آخر :

فرد الانام وواحد الاوقاتِ خير الانام وامجد السادات
السيد النّدب الذي فاق الورى علماً وحزماً مع كمال الذات
قد درَّك ما جمعتَ ناقباً حبًّا وذاتاً مع سموّ صفاتِ
فكأنما جُبلت طباعك كلها من هذه الاوصاف والحسناتِ
قد حزتَ من مولاك خير كرامةٍ فاسمُ بها مستنم الفرحاتِ
واسلمْ ودم شمساً بمرَّةٍ تنجو من الاخطار والآفاتِ

أعني بهِ اكمل الخلّان وأجمل الاخوان . انسان عين الزمان . الذي نال من مولاه أسنى المواهب واتّبع بالله أشرف المذاهب . وارتفع فيهِ على كلّ خلّ وصاحب . فرقى

لي عهده دون سائر الرفاق والاخوان. وصفّى لي ودّه مع كدر الزمان وشفى قلبي من وحشة الهجران. وازال كربي بالاحسان دون امتنان. ولهذا سكنتُ الى وفائه فالقيت عنده عصا التسيار. وعقدتُ على اخائه خنصر الاختيار بعد الاختبار. وصرفتُ الى ولائه ازمّة الاجتهاد بعد الانتقاد. وجعلتهُ بعد الله العماد وعليه الاعتماد.

جعلتكَ نصرتي في كلّ شدّه ... وبعد الله في الضيقات عُمدَه
ورُمتُكَ لي مدى الايّام حسبي ... وقلت كفاني هذا الخلّ وحده
وكنتُ اظنّ ان تبقى زمانًا ... وان تعلي لنا الايّامُ مُدّه
وما خلتُ الفراق يكفّ عني ... لفاكَ وارضى فيا لن أودّه
ويرميني غريبًا في بلادٍ ... أرى فيها يوبي الف شدّه

فكم اقتطفتُ من أثمار مجاني ادابكم ما هو أشهى من العطر وأزهى من النجوم الزهر. وكم اغترفتُ من تيّار معاني خطابكم ما يصلح فساد الفكر ويعلي الذكر. وطالما اعتلقتُ بشوارد جواهر من جياد تلك القصائد. والتقطتُ من فرائد نوادر اجياد تلك الفرائد. حتى وردت هذه الموارد وتفوهت بنظم هذه النشائد. التي هي من ابهى العقود والقلائد

يا فريدًا علا على كلّ ندّ ... وشبيهٍ قد فاقَ فوق الصحابِ
قد ملكتَ الكمال جسمًا وطبعًا ... واتخذت الجمال خير ثيابِ
فاسمُ وأسلمْ ودم وكن في امان ... من خطوب الزمان والاحقابِ
ما تغنّت بلابل الدوح حبًّا ... في زهى الروض من صفاء السحابِ

الّا اني كنت اظنّ ان الايّام تدوم. وطير الفراق على رؤوس الانام قلّما يحوم. حتى ضربتنا ايدي سبا وشربنا كأس الفراق المرّ المذاق واصعب من السمّ الذعاق. وتشتتنا في الآفاق وحرمنا طيب ذاك التلاق المحكم الوثاق. . . ولكن بينا انا مشغول بالوسارس الفكريّة. ومنحرل بالدسائس الوهميّة. متبلبل الاحوال. مقطوع الآمال. لا ادري اليمين من الشمال. اذ بزغت مطالع الجمال من شموس المودّة السنية. وأشرقت لوامع الوصال من طروس المحبّة الشهيّة. فرمقتُها رمقة ملهوف. ولثمتها لثمة مشغوف. وفضضت ختام بكارتها. وتحليت بتمام بهجتها ونضارتها. والتقطت من ساحة رياضها أزهار الدرّ المصون. واقتطفت من دوحة غياضها اثمار سرّ الفنون. ولجتنيت من مجاني اسرارها ما انا به أحرى. ولستجليت معاني ابتكارها حين وجدتها بكرًا

وعاشَ الله ما هذي المعاني ... م اللواتي تضمّنت غرر البيانِ

لقد احكمتها نظماً ونثراً كنظم الدرّ بين البهرمان
سبائك عسجد ام سلكُ درٍّ أنيط على الصدور من الجمان
فكم لكمُ عليَّ بذاكَ فضلٌ وكم فيه رفعتم خفض شاني
لقد أكثرتمُ الافضال حتى غدا من شكرها يبيا لساني
وقد جُدتم بلا شحٍّ علينا بما لم يحظَ ادناه بناني
وقد اوقرتمُ ظهري بحملٍ غدا عن حمله الريبال عاني
فاشكر فضلكم عنهُ وأثني جزيل عناكمُ في ذي المعاني
لقد حزتم خصالاً لم يحزها ولا من قد حوى قصب الرهان
وقد فزتم بمجدٍ واعتلاءٍ وفضلٍ فاقَ متن التيّران
قدمْ وأسلم بعون الله وابقى مدى الايام مع طول الزمان

وقد ارتشفتُ من معاني رموزها ما يروي القلوب ويزكي الحواس . واغترفت من تيار كنوزها ما يغني عن مل . الجيوب والاكياس . ولمّا كشفت ما بها استتر من الاسرار والمعاني الابكار والنظم والنثار . فاذا هي التيّار والبحر الذي ليس لهُ قرار والفيض المدرار الكثير الانهمار . وقلت شعراً :

أشذورُ تبر مع طروس عاجٍ ام نظم درٍّ في قبا ديباجٍ
ام ذي عقود جواهر نيطت على ببض النحور وماثل الاوداجِ
ار روضة قد ابتسمت ازهارها فحكت نجوماً في ظلام داجي
ام ذي سنانٍ نظمت وتلطفت حتى غدت كجواهر في تاجِ
يا ايها الحبر الذي تنجت لنا بطروسه الآداب خير نتاجِ
امنن ولا تقطع دواعي نعمكم عني لاني لم ازل بكَ راجي
واكثر علينا ذا السخاء لأنهُ يكسو العقول بنوره الوهّاجِ
لا زلتَ موضوع السماحة والسخا تأتيكَ افواجاً على افواجِ
بل لا برحت على المدى متراقياً فوق الثريا في ذرى الابراجِ
فأسلم ودم متنعماً بسلامةٍ وسرورةٍ من كلّ خيرٍ ناجي

وقد اذكرني طيب انفاسها . وعذوبة جناسها . بانفاس أولئك القوم الأدباء . ورقّة طباع اهالي الشهباء . وحسن مناخها وقراها . ولطف نسيمها وهواها . وجمال تلك البلدة التي هي رونق الانام . والشامة التي في وجنة بلاد الشام . جنّة البلاد ووجبة ارض الميعاد . بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي . وميطت عني كمائمي . وناهيك من حب الوطن . ومقرّ الاهل والسكن :

قلبي يذوب الى المنازل والحما ورئ ذاك الحي اشفاني الظما

ولقد حنت لهُ حنين الالف مذ عنهُ نأى إلفٌ وصدَّ عن الحما
اسفي على الزمن الذي فيهِ بدا تلفي بهِ كيف انقضى وتصرَّما
يا حبذا ذاك الزمان وحبذا الاوطان والسكان كم لي فيهما
من كل ندبٍ لوذعيٍّ اروعيٍّ م ألمعيٍّ بالبلاغة قد سما
قومٌ يكل اللسن عن اوصافهم وغدا جم من الفصاحة ابكما
فارقتهم غصباً عليَّ ولم ازل لفراقهم متندماً متألما
ياساكنين الحي هل لا ترحموا فتعرجّوني للديار تكرُّما
وافوز في لقياكمُ متنسماً بنسيم ارض بحرُ نعماها طمى
دارٌ غدت اعجوبة الدنيا وقد أبت أن تحاكي بلدةً تحت السما
سقياكِ يا حلب الفريدة انَّكِ حزت مقاماً في البلاد مكرَّما
حتى غدوتِ شامة في وجنة الدنيا تزيني ثغرها والمبسما
فلذاكَ لا اختار غيرك لو غدت ارضوها تبراً وماؤها بلسما
خذ يانسيم الصبح عرفاً طيباً مني اليها قاصداً وسلما
نادي جا دار المحبة انمي وعي صباحاً ثمَّ زيدي انما

وها انا من شوق الديار اتقلَّب على جمر النار. ومن ذاكَ القضا. يثقل قلبي لنار الغضا. وتنسفح مني الدموع رحضاً. وتندي من الوجد والغرام. ما يكلُّ عن تدوينهِ بيان الاقلام. ومن الصعداء والزفير ما لو مرَّ بريح لعاد سموماً. ولو صافح الروض النسيم لصار هشيماً. غير اني لم ازل استشفي بكل نسيم هبَّ من ذلك الجناب. واستسقي لسكناهُ وطفُ المزن والسحاب لا برحت اهاليها دائمة العزّ والمجد والجلال. وملازمة الحظ والسعد والاقبال. ما غرَّدت الطيور والحمام على قدود منابر الاغصان. وما افترَّت ثغور الكمائم عن ورود وازهار الوديان

أمَّا بعد فابدي لجنابكم جزيل الشكر الوافر لجودكم والاحسان. ما لم يقدر يحويهِ الجنان. واهدي اليكم جزيل الحمد المتكاثر على فضلكم والامتنان. ما ليس يقدر يُحصيه الانسان. لاني ما كنت اؤمل بعد ما فرط مني من ذاك العتاب. ان تتفضلوا عليَّ بعدهُ بالجواب. او مكاتبة وخطاب. إلَّا ان لطف أخلاقكم ما عاملتني بالترك والهجران. بل أبدت لي صفو الجنان واغضيتم الطرف والعيان عن الذنب والنقصان. شرَّفتموني بمشرفة رابعة. لاولئك الثلثة تابعة. وهي كالحديقة الياسة التي لانواع الأزهار جامعة. وكالقلادة اللامعة الحاوية الورد والجواهر الساطعة. او كالسماء السابعة المزيَّنة بالكواكب اللامعة. فرمقتها بعين دامعة وبهجة من الوجد

هامعه. وذلك لفرط ما عراني من الخوف والوجل والحزي والخجل . لما فرط مني بطريق العجل . فلذلك قلت قول مرتجل . شعر :

لقد وافت الينا من حماكم جليل الركب دون انقضاض
نفستُ لها على الاقدام شوقًا لما تبديه من حسن التراضي
ولمّا افترّ مبسمها وفاهت باهداء السلام بلا انقباض
فرحت مقبّل الارضين شكرًا لحسن سماحكم عن كل ماضي
فلكم بحقّ ان يسمّى مسجبًا وذاكَ بلا اعتراض
ومسدوحًا ومحمود الثنا من جميع الناس في كلّ الاراضي (لهُ تابع)

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمعان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات نثرّى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاته ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك:

أتت بسحر بيانٍ ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي عقدًا بديعًا جميلا
صحيح معناهُ يروي عن الصحاح نقولا
ما درّ درّ قوافٍ ترتّلت ترتيلا
فنّ الفصاحة فيهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوّلون الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا
فهو يومٌ اتانا منهُ الثنا مستطيلا
وطال ما كان سمي سماءها مستقيلا
حتّى تشنّف منها وهام فيها ثمولا